

كلمة العالمين في أقوال المفسرين:

وقد يعجب القارئ ويقول: أعجز أرباب الفصاحة والبيان وأهل اللسان عن تحديد معناها، وستفعل أنت!

نقول: كلمة "العالمين" من الكلمات الجديدة التي أنشأها الله تعالى إنشاء، فلم تأت في أي نص جاهلي قبل الإسلام، شعرا كان أو نثرا، فهي ليست مما يعرفه العرب، لذلك اجتهد الصحابة والتابعون في استخراج معناها من خلال القرآن، فالمسألة مسألة اجتهاد في الفهم وليس لها أي علاقة بالمكنة اللغوية، ثم إنهم وسعوا فقط مدلولها لا أنهم جعلوها شرقا وهي غرب!

معاني الكلمة :

١. فَقَالَ قَتَادَةَ: الْعَالَمُونَ جَمْعُ عَالِمٍ، وَهُوَ كُلُّ مَوْجُودٍ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لُفْظِهِ مِثْلَ رَهْطٍ وَقَوْمٍ.

٢. وَقِيلَ: أَهْلُ كُلِّ زَمَانٍ عَالِمٌ؛ قَالَهُ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: " أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ " [الشعراء: ١٦٥] أَي مِنَ النَّاسِ .

٣. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْعَالَمُونَ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ؛ دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: " لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا " [الفرقان: ١] وَلَمْ يَكُنْ نَذِيرًا لِلْبَهَائِمِ .

٤. وَقَالَ الْفَرَّاءُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ: الْعَالَمُ عِبَارَةٌ عَمَّنْ يَعْقِلُ؛ وَهُمْ أَرْبَعَةٌ أُمَّمٌ: الْإِنْسُ وَالْجِنُّ وَالْمَلَائِكَةُ وَالشَّيَاطِينُ. وَلَا يُقَالُ لِلْبَهَائِمِ: عَالِمٌ، لِأَنَّ هَذَا الْجَمْعَ إِنَّمَا هُوَ جَمْعٌ مَنْ يَعْقِلُ خَاصَّةً .

الدليل على معني الأول :

ويقول القرطبي: القول الأول أصح هذه الأقوال ؛ لأنه شامل لكل مخلوق وموجود؛ دليله قوله تعالى: "قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما" [الشعراء: ٢٣] .

ذكرت كلمة العالمين في القرآن الكريم ستون مرة. وتأتي أحد معانيها مشيرة إلى السماء والأرض في قوله تعالى: "قال فرعون وما رب العالمين" { قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين } الشعراء: ٢٣-٢٤

مناقشة قول القرطبي :

في سورة الشعراء، فلما سأل فرعون: قَالَ فَرَعُونَ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ [الشعراء : ٢٣]
رد موسى: قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤَقِّنِينَ [الشعراء : ٢٤]
فيكون هذا تفصيلاً لذلك !

مناقشة الدليل :

على قولهم هذا، فإن فرعون لم يكن فاهماً هو الآخر لمعنى كلمة: عالمين، فاحتاج إلى شرح
المعنى من موسى! ولو كان هذا هو المراد لكان من الأولى أن يقول له: وما العالمون؟! ولكنه
يسأل عن هذا الرب الذي يدعوه موسى إلى عبادته، فزاده موسى تعريفاً بكمالاته، فقال له هو كذا
وكذا!

أي أنه يعطيه معلومات إضافية، لا أنه يفسر ما لديه! ولو طبقنا هذا الطريقة لأمكننا أن نقول أن
العالمين هم موسى وهارون!

ألم يقل الله تعالى حاكياً قول السحرة: قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ [الأعراف : ١٢١] ثم قالوا في الآية
التالية: "رب موسى وهارون"، فهل العالمون هم موسى وهارون؟ أم أن الحديث انتقل إلى أمر
آخر، كما كان الحال بين موسى وفرعون؟

الدليل للقول الثاني :

قوله تعالى:

'يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ [البقرة : ٤٧]'
المراد فضلتكم على عالمي زمانكم وذلك لأن الشخص الذي سيوجد بعد ذلك وهو الآن ليس
بموجود لم يكن ذلك الشخص من جملة العالمين حال عدمه لأن شرط العالم أن يكون موجوداً
والشيء حال عدمه لا يكون موجوداً. فالشيء حال عدمه لا يكون من العالمين، وأن محمداً عليه
السلام ما كان موجوداً في ذلك الوقت، فما كان ذلك الوقت من العالمين فلا يلزم من كون بني
إسرائيل أفضل العالمين في ذلك الوقت كونهم أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك
الوقت،

وهذا هو المعنى أيضاً عن قوله تعالى: { إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً
من العالمين } [المائدة : ٢٠] .

وقال: { ولقد اخترناهم على علم على العالمين } [الدخان : ٣٢] وأراد به عالمي ذلك الزمان ،
وإنما كانوا أفضل من غيرهم بما أعطوا من الملك والرسالة والكتب الإلهية.

وثانيا: أن قوله: { وأني فضلتكم على العالمين } عام في العالمين لكنه مطلق في الفضل والمطلق يكفي في صدقه صورة واحدة. فالآية تدل على أن بني إسرائيل فضلوا على العالمين في أمر ما وهذا لا يقتضي أن يكونوا أفضل من كل العالمين في كل الأمور، بل لعلهم وإن كانوا أفضل من غيرهم في أمر واحد فغيرهم يكون أفضل منهم فيما عدا ذلك الأمر، وعند ذلك يظهر أنه لا يصح الاستدلال بقوله تعالى: { إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم، وآل عمران على العالمين } [آل عمران : 33 : على أن الأنبياء أفضل من الملائكة. " اه

المزيد في نقاش الكلمة :

إن هذه الكلمة تُجمع على "عوالم"، فإذا جُمعت على هذا الوزن كانت بالمعنى الذي ذكره المفسرون، ولكن الله تعالى لم يجمعها على عوالم، وإنما جمعها على "عالمون" وكما نرى فإن الكلمة مما انتهت بالواو والنون، وهما لا يكونان في الجمع إلا مع العاقل! فيكون هذا دليلاً على أن الحديث عن عوالم عاقلة! وبهذا يمكننا استبعاد الجمادات والدواب وكل ما عدا العاقل!

أما نحن فنقول:

العالمون هم الأمم أو الجماعات أو المجتمعات البشرية المختلفة. (في زمانٍ ما وليس مطلقاً) وليس للكلمة أي علاقة بالجن ولا الملائكة ولا الجمادات ولا الحيوانات ولا أي شيء ما عدا الإنسان!

ونبين من أين أتينا بهذا التحديد، فنقول:

ذُكرت كلمة "العالمين" ٦١ مرة في القرآن، جاءت في بعضها عامة، مما لا يمكن من تحديد المدلول المندرج تحتها، ولكنها أتت مخصصة في بعض المرات بأوصاف تحتم أن تكون بالمعنى الذي ذكرنا، وأول هذه الآيات:

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ [البقرة : ٤٧]

أيهما أولى أن نفهم أن بني إسرائيل فضلوا على باقي المجتمعات في زمانهم، وبهذا لا تظهر إشكالية في وجود بعض الفسقة فيهم، لأنه تفضيل مجتمع على مجتمعات، أم من الأولى أن نفهم

أن بني إسرائيل فضلوا على كل الخلق؟!]

وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ [آل عمران : ٤٢]

هنا نلاحظ أن العالمين لهم نساء! فهل لكل ما سوى الله نساء، أم أن النساء التي فضلت مريم عليهن هن نساء المجتمعات البشرية في زمانها؟!]

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ [آل عمران : ٩٦]
فيه آياتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَللَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا
وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ [آل عمران : ٩٧]

فالبيت وضع للناس وهو هداية لكل المجتمعات والأمم، أم أن البيت هداية للدواب والسموات والأرض والدواب؟!]

كما نلاحظ في الآية التالية أن من يكفر فإن الله غني عن العالمين، فأبي المعنين أنسب، المجتمعات والأمم أم الكون بما فيه؟!]

نعم، الله غني عن كل شيء، ولكن ما من مخلوق يكفر ويجحد إلا الإنسان!]

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ [المائدة : ٢٠]

ونلاحظ هنا استعمال "أحد" والتي لا تُستعمل في القرآن إلا مع العاقل، وبغض النظر عن هذا، فإن الآية تقول أن الله أعطى بني إسرائيل ما لم يؤت أحد من العالمين، وهذا غير بعثة الأنبياء فيهم وجعلهم ملوكا، لعطف الإتيان على هذين الأمرين، والعطف يقتضي المغايرة-

فإذا قبل بعض الأخوة أن يُفضل بنو إسرائيل على الملائكة، فهل يُعقل أن يعطى بنو إسرائيل ما لم تُعطه الملائكة ولا الشياطين؟!]
أما على فهمنا وقولنا فلا إشكال!]

قَالَ اللَّهُ إِنَّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ [المائدة : ١١٥]

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ [الأنعام : ٩٠]

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ [يوسف : ١٠٤]

القرآن ذكرى وذكر للعالمين، فهل القرآن للجمادات والدواب، أم للجماعات والأمم المختلفة؟!

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا [الفرقان : ١]

بهذه الآية استدل ابن عباس على أن المراد من العالمين هو الإنس والجن، لأن الرسول لم يكن إلا نذيرا لهما.

وقيل أن المراد من العالمين هو المجتمعات البشرية فقط، ولا يدخل الجن فيها، لأن الجن والملائكة لا يسمون عالم، لأن العالم لا يكون إلا لمن له أثر ويُرى، وتذكر ما قاله الإمام الفخر الرازي:

"وهذا ضعيف لأن لفظ العالم مشتق من العلم وهو الدليل، فكل ما كان دليلاً على الله تعالى كان عالماً، فكان من العالم"

والعالم مشتق من العلم وهو ترك الأثر! ومن المعلوم أننا لا نرى لا الملائكة ولا الشياطين، ولا أثر مباشر لهم، لذا لا يُسمون عالم! فلا يدخلون في هذا المصطلح! كما أن الأوصاف المذكورة في حقهم تحتم أن يكونوا بشرا، مثل أن لهم نساء، ومثل الأوصاف القادمة .

وَلَوْ طَآءَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ [الأعراف : ٨٠]

فهل كان لوط يحدثهم عن عدم فعل الحجر والطير أم البشر؟ وحتى لا يجادل بعضهم، نذكر له قوله تعالى:

أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ [الشعراء : ١٦٥]

فهذا دليل على أن المراد بالعالمين هم المجتمعات البشرية، ولقد الإمام الطبري عند تأويله هذه الآية:

"يعني بقوله أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (: أتتكحون الذكران من بني آدم في أدبارهم." اه
وكذلك استعملها قومه بنفس المعنى:

قَالُوا أَوْلَمْ نُنْهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ [الحجر : ٧٠]

فهم كانوا ينهونه عن مخاطبة أو التعامل مع الأجانب! والذين هم عالمون، لأنهم من مجتمعات أخرى!

وَالَّتِي أَحْصَيْتَ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ [الأنبياء : ٩١]

فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ [العنكبوت : ١٥]

فهل جعلت مريم وسيدنا عيسى آية لجماعات البشر المختلفة أم للجمادات والحيوانات معهم، وللملائكة الذين باشرُوا العملية؟!

وكذلك هل جعلت السفينة آية للمخلوقات كلها أم للبشر؟!

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاء نَصْرٌ مِّن

رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ [العنكبوت : ١٠]

العالمون لهم صدور، والله يعلم بما فيها، فعلى أي المعنيين تنطبق؟!

ونختم بقوله تعالى:

فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [الجمانية : ٣٦]

فإنه رب السموات والأرض وهو رب العالمين، وهذا يعني أن العالمين شيء آخر غير السموات والأرض!

ولقد قال الإمام الطبري عند تناوله هذه الآية:

"الطبري: (رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ) يقول: مالك السموات السبع، ومالك الأرضين السبع

و(رَبِّ الْعَالَمِينَ) يقول: مالك جميع ما فيهن من أصناف الخلق،" اه

أما نحن فنقول أنهم جماعات البشر فقط!

بهذا نكون قد بيّنا أن كلمة: عالمون، لا تستعمل إلا مع الأمم أو المجتمعات البشرية المختلفة، ولا

تُستعمل مع غير هذا، لهذا حُتِمت بالواو والنون، والله أعلى وأعلم.